حياة المومس

المهنية والاقتصادية والاجتماعية

سمير خلف

هذا المقال جزء من التقرير الذي قدمه الدكتور سمير خلف الى مجلس تنفيذ المشاريع الكبرى لمدينة بيروت . وهو مبني على مقابلات اجريت ، بمساعدة موظفي الصحة العامة ورجال الشرطة ، خلال ستة اسابيع من الصيف الماضي ، مع ١٣٠ مومساً من مجموع ٢٠٧ تضمهن البيوت العمومية في منطقة البرج ببيروت .

ان عزل المومسات في مباغ خاصة يدل على عقلية تشبه عقلية القرون الوسطى . فبالاضافة الى الجو المزعج الذي يسود مثل هذه البيوت العمومية ، وبشكل خاص الاحساس بالعبودية والوسائل المتبعة في اصطياد الضحايا ، فان هذا العزل قد ولّد عند الناس عداء اصيلاً تجاه المومس العمومية وتجاه مهنتها . فالموقف السائد بين الناس تجاه المومس يتصف على العموم بالنفور وبالاشمئزاز الراسخ . ووصمنا هذا للمومسات بالعار ، واعتبارنا اياهن منبوذات ، يستثير فيهن مشاعر الامتعاض والعداء بكل سهولة .

ان مثل هذه المواقف والمشاعر لا تؤدي بنا بحد ذاتها الى معرفة حياة المومسات المهنية والاقتصادية والاجتماعية معرفة وثيقة . وبالتالي فان القليل الذي نعرفه مبني على الاقاويل او مثقل بالتحيزات المسبقة والمغالطات الشائعة .

وسنحاول في هذا المقال ان ندرس نوعية الحياة التي تحياها المومس البيروتية . فما هي ساعات عملها ؟ وكم تحصّل ، وفي أي السبل تنفق دخلها ؟ وما هي نوعية الزبائن الذين يتعاملون معها ، وما هي العلاقة بينها وبينهم ؟ بمن ترتبط مهنياً ، وما هي طبيعة هذا الارتباط ؟ ما الذي تفعله عادة لتروّح عن نفسها ؟ ماذا تحب في مهنتها وماذا تكره ؟ ما هي بعض مشاريعها للمستقبل ؟ سنحاول في مقالنا هذا الاجابة عن هذه الاسئلة وما يرتبط بها من تساؤلات اخرى .

ان معدل ساعات عمل المومس اللبنانية يقارب على العموم ٩ ساعات ونصفا . ويتراوح عدد ساعات الدوام من ٣ الى ١٦ ساعة في بعض الحالات . الا ان الاغلبية تشتغل من ٧ الى

١٠ ساعات في اليوم. وبالرغم من ان المومسات يضيعن عادة قدراً لا بأس به من وقتهن في انتظار الزبائن ، فان مجرد انهماك اكثر من ربعهن لمدة ١١ ساعة في اليوم يبدو عملاً منهكاً ، سواء كان مرهقاً أو خفيفاً في طبيعته .

ولا نتبين تذبذباً كبيراً في سير العمل عندهن . فان العمل يبدأ عادة بين الرابعة والسادسة من بعد الظهر ، وينتهي في الساعات الأولى من الصباح ، رغم ان المومسات قد يشتغلن احياناً حتى الخامسة او السادسة صباحاً . ويبدأ العمل تدريجياً ، ويتزايد بعد التاسعة الى ان يصل ذروته بين العاشرة والحادية عشرة ليلاً . اما بالنسبة لايام الاسبوع فقد ذكرت المجيبات ان العمل يتراكم بشكل خاص يومي السبت والاحد . وكذلك الامر بالنسبة لأيام الأعياد .

وثمة مقياس اكثر دلالة على كمية العمل الفعلي ، وهو معدل عدد الزبائن الذين تستقبلهم المومس العمومية في لبنان . فأثناء ساعات العمل التسع تقوم المومس بمضاجعة واحدة او تستقبل زبوناً واحداً في كل ساعة على التقريب . وبمزيد من التحديد ، فان معدل المضاجعات للعينة بأجمعها هو ٨٫٩٥ في اليوم الواحد . وقد تختلف كمية العمل من مومس الى اخرى بشكل واضح ، نظراً للفارق في السن وفي الاتصالات ، الا ان اغلبيتهن يتلقين عدداً متساوياً من الزبائن . ويتراوح معدل ما تستقبله ٥٧ بالمائة من المجيبات ما بين ٧ و١٢ من الزبائن يومياً . (كان رأي المستجوبين ان ثلاثة من المجيبات قد بالغن في التقدير حين اشرن الى انهن يستقبلن ٣٠ الى ٤٠ زبوناً في اليوم. وفي حسابنا للمعدل اعتبرنا عدد الزبائن في هذه الحالة ٢٠ كحد اعلى) .

واذا اخذنا بعين الاعتبار كمية البغاء الذي تمارسه المومسات الهاويات والسريات عموماً ، فسوف تبدو لنا هذه التقديرات عالية نوعاً ما . وذلك يشير على الاقل الى انه ما زال هناك طلب عال نسبياً على الخدمات التي تقدمها المومس العمومية في لبنان . ولم تكن بين يدينا ، اثناء كتابة هذا البحث ، دراسات عن مجتمعات اخرى بقصد المقارنة . وهناك دراسة واحدة قدر فيها عدد الزبائن الذين تستقبلهن المومس في لندن بين ٢٠ و ٢٥ زبوناً في الاسبوع . لهذا يبدو ان عمل المومس العمومية في منطقة البرج يعادل ثلاثة اضعاف عمل المتسكعة في حي بيكاديلي الشهير . ومهما كان المقياس الذي نستعمله اذاً ، فانه لا يمكننا اعتبار المومس المرخصة في بيروت قليلة الشغل ، رغم ان اغلبية المومسات قد بدأن يتذمرن من ان مستوى العمل قد أخذ بالهبوط .

الدخل والنفقات والادخار

ان خدمات المومس لا تستغل بشكل جيد فحسب ، بل انها ، على ما يبدو ، مصدر وافر للرزق بالنسبة لكل من يقدمن هذه الخدمات. فالمومس المرخصة في بيروت تحصّل، عموماً، ما يقارب ٥٠ ليرة لبنانية في اليوم الواحد. فاذا نظرنا الى ماضي الفتيات الاقتصادي والاجتماعي ، والى خبراتهن المهنية المتدنية ، تبينا ان دخلهن من هذه المهنة اعلى بدرجة لا بأس بها من دخلهن فيما لو اشتغلن باية مهنة اخرى . ولما كانت هـذه المهنة مريحة الى هذا الحد ، فانه يحق لنا ان نكرر قول كنغزلي ديفز بان « السؤال الطريف ليس: لماذا يمارس البغاء هذا العـدد الكبير من النساء ؟ بل : لماذا لا يمارسه الا هـذا العدد القليل فقط ! » ويجيبنا البروفسور ديفز على هذا بقوله ان ربح المومس في اساسه ليس مكافأة على عمل او خبرة او رأسمال او ايجار ، بقدر ما هو مكافأة على ضياع المنزلة الاجتماعية والاحترام الاجتماعي . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار مقدار ما تعانيه المومس اللبنانية في المجتمع من فقدان للمنزلة والاحترام ، ادركنا ان ما تتلقاه من تعويض يكاد يكون غير كاف .

يتقلب دخل المجيبات اكثر من تقلب عدد الزبائن المترددين عليهن . وهـذا بلا شك يعكس لنا الفارق الكبير في ما تتقاضاه كل مومس . ورغم انه كان من الصعب معرفة ما تتقاضاه المومس من كل زبون على وجه الدقة ، فانه يتراوح بين ٥ ، ١ ليرة كحـد ادنى و ٢٥ ليرة كحد اعلى ، بمعدل يقارب ٥ – ٦ ليرات لكل مضاجعة . وثمة فرق شاسع ، كما هو متوقع ، بين مومسات الدرجة الاولى والدرجة الثانية ، حتى ولو تردد عليهن العدد نفسه من الزبائن . فبينما يبلغ معدل ما تحصله المومس من الدرجة الاولى ٧٦ ليرة يومياً ، فان معدل ما تحصله المومس من الدرجة الثانية لا يتجاوز ٣٢ ليرة .

ان الدخل البالغ ٥٠ ليرة يومياً دخل اجمالي بالطبع ، ويجب ان تحسم منه مصاريف اخرى متعددة . واول المصاريف التي تدفعها المومس المرخصة هي العمولة التي تتقاضاها منها البطرونة ، وتبلغ عادة خمسين بالمائة من المبلغ الاجمالي الذي تحصله المومس . وقـد اشارت جميع المجيبات ، باستثناء ستّ فقط ، الى ان هذه العمولة تشكل الجزء الاكبر من مصاريفهن ؛ اما الستّ الباقيات ، وهن فتيات جذابات مـا زلن في ربيع العمر ، ويعتمدن بشكل اساسي على اتصالاتهن الخارجية ، فقد اتبعن طريقة مختلفة في التعامـل مع البطرونة . فبدلاً من اعطائها ٥٠ بالمائة عمولة ، فقـد قمن باستئجـار غرفة في البيت يدفعن مقابلها ما معدله ١٥ – ٢٠ ليرة للبطرونة كل يوم . ويظل مثل هذا الترتيب قائماً

لعدة سنوات في العادة . وحالما يبدأ عمل المومس شبه المستقلة بالتدهور ، كما هي الحال عندما تتقدم بها السن ، فانها تضطر الى اتباع النظام الجاري ، فتصبح منذ ذلك الحين كغيرها من الفتيات خاضعة لامرة البطرونة ، سيدة البيت المتسلطة التي لا يردّ لها امر .

وثمة مصروف باهظ آخر ، هو الثياب . فالفتيات ينفقن قدراً لا بأس به من دخلهن على كل من الملابس الخارجية والداخلية ، وبشكل خاص على الثياب الخفيفة واردية النوم الفضفاضة التي تشكل جزءاً من لباس الشغل عندهن . ومما يبعث على الدهشة ان عدداً كبيراً منهن يظهرن اهتماماً بالغاً باناقتهن وبمظهرهن العام . وبالاضافة الى مصاريفهن الزائدة على الثياب وادوات الزينة ، فانهن يراعين القوانين الصحية والغذائية . وذكر عدد قليل منهن ايضاً انهن قد يروّحن عن انفسهن احياناً بارتياد المتاجر ، وانفاق قدر لا يستهان به من المال في شراء انواع من الملابس التي لا يحتجن اليها .

وتشكل المصاريف الطبية ايضاً جزءاً اساسياً من مصاريف الفتيات . وتتخذ عادة شكل دفع مصاريف الاطباء لعمليات الاجهاض او الادوية المضادة عندما تتسرب اليهن الامراض السارية ، التي تعتبر ابرز مخاطر المهنة .

وهناك سبيل آخر تنفق فيه المومس دخلها ، وهو المسؤولية المالية التي قد تتكفل بها بعضهن تجاه اطفالهن او ذويهن . ورغم ان هذه المصاريف العائلية لا ترتبط مباشرة بالمهنة ، فانها تشكل مصدراً مهماً من مصادر الارتياح النفساني .

كما ان هناك وسائل اخرى لانفاق الدخل ، وتشمل مصروفات الفتيات المتفرقة كالقمار ومراهنات السباق ، كما تشمل الترفيه والمشروبات والسجائر والاصدقاء والهبات.

ولما كان من المستحيل تحديد كمية النقود المصروفة بالفعل على كل من الحاجيات المذكورة اعلاه ، فقد استعضنا عن ذلك بان طلبنا من المجيبات ذكر ثلاثة اشياء تفرض عليهن اكبر قسط من المصاريف. ونلاحظ في اجاباتهن غياب القوادين والوسطاء من قائمة مصاريفهن؛ ويبدو ان المومس اللبنانية في غنى عن خدمات مثل هؤلاء الرجال ، مما يناقض كلا من الاقاويل الشائعة وتجربة المجتمعات الغربية ؛ كما انها لا تدفع لمن يحميها . والحقيقة ان احد الاشياء القليلة التي تحبها في مهنتها هو « السترة » التي تتمتع بها بمجرد وجودها في البيت العمومي . وعلى ذلك يتوجب علينا ان نتساءل عن صحة الرأي القائل بان المومس ما هي الا فريسة للطفيليين والصعاليك الذين يعتاشون على ما تحصله من مال . وترينا

اجاباتهن ان اثنتين فحسب من المجيبات اشرن الى ان مـــا تنفقانه على صديقيهما يشكل جزءاً ثقيلاً مما تصرفانه عموماً .

واخيراً يجدر بنا ملاحظة ان اثنتين من المجيبات قد ذكرتا الهبات والعطايا كجزء من مصروفهن . واعمال الاحسان هذه ، شأنهـــا شأن مساهمة المومسات في اعالة ذويهن ، تزيح عن المومس جزءاً من الاحساس بالاثم الذي يثقل ضميرها .

هل استطاعت المومسات ادخار اي مبلغ من المال ؟ اذا كانت هذه المهنـــة تبدو وافرة الربح ، فان المشتغلات بها لم يستطعن الاحتفاظ بالقرش الابيض لليوم الأسود . فان المصاريف المتفرقة ، وبعضها خاص بهذه المهنة ، تستهلك قسطاً كبيراً من دخلهن . ان عشراً فقط من العينة كلها قد اعترفن بادخار بعض المال من مهنتهن. اما البقية فيكدن لا يستطعن تدبير امرهن . وفي الواقع ان سبعاً من المجيبات ذكرن انهن مدينات بمبالـــغ تتراوح بين ٥ — ٦ آلاف ليرة .

وماذا كانت القلة القليلة ، التي كان بمقدورها الادخار ، تفعل بما تحصله من مال ؟ لقد كان الجواب الفوري لثلاث من المجيبات هو : « بذّرتها بجهل » . وقد كانت لدى ثلاث اخريات ، ربما بفضل نجاحهن في المهنة ، مشاريع لافتتاح مواخير مستقلة خـاصة بهن . اما الاربع الباقيات فقد اتبعن الطريقة اللبنانية النموذجية ، وهي استثمار الادخارات في الممتلكات العقارية .

ان المنزلة الاجتماعية الاقتصادية للمومسات المرخصات تتغير بتغير الاخلاق والمناقب في المجتمع . وقد كان من نتائج التراخي الحتمي الذي اصاب المعايير الاخلاقية ، ان ابتدأ الرجال باقامة علاقات اكثر تحرراً مع نساء من طبقتهم الاجتماعية نفسها ، وبالتالي فقـــد خفت الحوافز التي تدفعهم الى معاشرة المومسات المحترفات في الاحياء المعزولة. وباختصار فان الهاويات قد يأخذن مكان المحترفات .

ومن خلال اجابة المومسات على السؤال التالي نتبين ان ذلك هو مـــا يحصل بالفعل في لبنان : « بالاستناد الى خبرتك ، هل تقولين ان مدخولك من هذه المهنة في ازدياد مطرد، ام انه ما زال على حاله ، ام أنه في هبوط مستمر ؟ »

وبينما نرى ان ٨٥،٤ بالمائة قد ذكرن ان عملهن في هبوط مستمر، فإن ٧،٧ بالمائة فقط

قد اعتبرن العمل في ازدياد مطرد. اما البقية ، وهن ٦٩ بالمائة، فقد شعرن ان سير العمل ما زال على حاله دونما تغيير. ويهمنا هنا ان نتعرف الى الاسباب التي أدت الى اعتقاد المجيبات الـ ١١١ انها كامنة وراء الهبوط في حالة عملهن . فقد انحت اغلبيتهن باللائمة على المنافسة الخارجية ، او انحلال المعايير الاخلاقية وازدياد الحرية الجنسية ، وبشكل خاص عندما ابتدأ الرجال في الاتصال بالبنات خارج دور البغاء بمزيد من السهولة . وقد بلغ وعي المجيبات لهذه المنافسة حداً جعلهن ، في كثير من الاحيان ، يعتبرن السيارة و«الستيريو» خطراً يهدد مهنتهن: فهما العدوان اللدودان للمومس العمومية والكابوس الثقيل الذي ينغص عيشها . ويبرز في هذا المضمار كل ما يشعرن به من مرارة وعداء تجاه المجتمع عموماً وتجاه ما يسمى ببنات العائلات المحترمة بشكل خاص. وقد عبرن عن هذا السخط بالعبارات التالية : «الكرخانة بره مش جوه» و«الصيت لنا والفعل لغيرنا» و «الزبون الذي كان يأتيني في الاسبوع مرتين، اصبح يأخذ سيارة ويأخذ معه من البنات الخارجيات» و « استغلتنا القوادات ونحن صغيرات ، وعندما وعينا لم يعد لنا شغل » .

وثمة عدد لا بأس به ، ٦٤ بالمائة ، من المجيبات لم يلقين اللوم على المزاحمة الخارجية او على فساد المجتمع عموماً ، بل اعتبرن ان الهبوط في عملهن ناتج ، بشكل اساسي ، عن تقدمهن في السن او عن احساسهن المتزايد بالارهاق والملل. وهناك مجموعة اخرى، تقارب ٢٠ بالمائة ، حاولن تفسير الهبوط في العمل بالرجوع الى الاعتبارات الاقتصادية : فان مهنتهن ، كأي نشاط اقتصادي آخر ، قد تأثرت بالكساد الذي اصيب به الاقتصاد برمته . اما القلة الباقية فقد لجأن اما الى تفسيرات تتعلق بالقضاء والقدر ، او الى اعتبار نوعية الفتيات الحاليات سبباً في انحطاط مستوى المهنة .

الزبائن وعلاقتهن بهم

وقد رافق التدهور الذي اصاب سير عمل المومس العمومية تغير في نوعية الزبائن الذين كانوا يترددون عليها . واذا ما استمعنا الى المومسات المخضرمات والمتقدمات في السن وهن يسردن علينا ، بحنين مشبوب ، ذكريات مجدهن الغابر ، اتضح لدينا ان مومس اليوم تبيع اللذة لطبقة معينة من الزبائن . فقد انقضت أيام المومس الذهبية ولا شك . فعندما سئلن : « هل بامكانك تعيين تغير ما في نوع الزبائن الذين يزورونك ؟ » أجابت ٦٨ بالمائة منهن تقريباً بالإيجاب . فالى جانب قلة من اللواتي ذكرن ان زبائنهن قد

تقدمت بهم السن كنتيجة لتقدمهن في السن، فقد كانت الاغلبية اكثر حساسية تجاه تمايز الزبائن الطبقي وتبدل اخلاقهم . وقد ظهر وعيهن لمنزلتهن جلياً حين ذكرن ، بمرارة ، ان زبائنهن قد تحولوا « من جماعة ذوات الى جماعة هردبشت » . اما البقية ، وهن اللواتي لم يشعرن بأي تغيير ، فقد فسرن ذلك بشكل مجازي : « كلهم رجال ، لا همّ لهم الا اللذة العابرة » .

من هم الذين يترددون حالياً على المومسات المرخصات، ولماذا ؟ ان المومس نفسها قد تكون خير مصدر للاجابة على مثل هذه الاسئلة . ومع ان الفتيات المشتغلات بهذه المهنة قد يتصفن أحياناً بالتكتم ، الا انه ليس لديهن سبب للخداع — في هذا المضمار على الاقل. ووفقاً لذلك فقدطلبنا اليهن اعطاء فكرة عن أعمار زبائنهن، ومهنهم، ومنزلتهم الاجتماعية الاقتصادية ، ووضعهم العائلي ، ومكانتهم .

وبالاضافة الى ان النتائج قد وضعت بعض الاغلاط الشائعة موضع الشك ، فانها تقدم لنا مزيداً من الدلائل على المنزلة المتغيرة للمومس العمومية . وأحد هذه الاغلاط الشائعة يتعلق بعمر الزبائن الذين يترددون بانتظام على المومس المرخصة .

١ — **توزيع الأعمار** : يظنّ عادة ان البغاء ينشأ لاشباع الرغبة الجنسية عند الرجال غير المتزوجين . وتبعاً لهذا الخط المغلوط من التفكير ، يظن ايضاً ان هذا القطاع من السكان — اي العزاب القادرين بدنياً — اذا ما تعلموا كيف يكبحون رغباتهم الجنسية بوسيلة او بأخرى، واذا ما شجعوا على الزواج المبكر ، فان تجارة المومس ستبور آنذاك. ان كل هذه التخمينات بعيدة عن الصواب .

ان نتائج الاجابات تدلنا على ان البغاء هو بالتأكيد شيء اكثر من منفذ للطاقات الجنسية العارمة لدى البالغين من السكان . وباعتراف الفتيات انفسهن ، فان اكثر الزبائن انتظاماً تتراوح اعمارهم بين ٣٠ و ٤٠ سنة . ويأتي بعد ذلك مباشرة من هم في العقد الثالث ، ثم من هم في العقد الخامس؛ اما من هم دون العشرين وفوق الخمسين فقد جاء ترتيبهم في الفئتين الرابعة والخامسة على التوالي .

٢ — **الوضع العائلي** : ان الخدمات التي تقدمها المومسات لا تقتصر على غير المتزوجين فحسب . والحقيقة ان الجزء الاكبر ممن يخالطون المومسات موضوع الدراسة هم من

المتزوجين . وعلى التحـديد ، فقد أشارت ٢٩،٢ بالمائة منهن الى ان اكثرية زبائنهن من العزاب ، وقالت ٤٥،٤ بالمائة بأنهم من المتزوجين . اما البقية ، وهن ٢٥،٤ بالمائة ، فلم يستطعن تحديد الوضع العائلي للزبائن . وغني عن القول ان هذه النتائج ليست الا تقديرات المجيبات الشخصية ، وثمة اسباب للاعتقاد بأن المجيبات قد عمدن الى تضخيم نسبة الزبائن المتزوجين كمحاولة للتباهي بالصفات الفريدة والضرورية التي تتمتع بها تجارتهن . على اننا اذا نظرنا الى الدراسات التي أجريت في مجتمعات اخرى ، فسوف نميل الى اعتبـار هذه التقديرات الحالية قريبة جداً من الصواب .

وهنا يبرز السؤال : لماذا يتردد المتزوجون على المومسات ؟ ان هـذا السؤال ما زال مصدر حيرة للباحثين في هذا الحقـل ، وطالما فسروه كواقع غريب مشكوك فيه . والاخلاقيون يرفضونه بحجة ان المتزوجين الذين يترددون على بيوت البغاء ليسوا الا الرجال الذين يعانون انحرافات جنسية لا شفاء منها . وقد دحض البـاحثون مثل هذا الرأي بدراسات علمية .

والذي يهمنا هنا هو الحقيقة التي لا يمكن انكارها والتي تؤكدها مثل هذه الميول : ان ارتماء الرجل المتزوج في اذرع البغايا ليس نتيجة للدوافع الجنسية فحسب ، او لمجرد الرغبة في الخيـانة . انه يسعى الى شيء آخر لا يتوفر له في بيته ، خاصة في مجتمع انتقالي كلبنان ، قد بدأت فيه بوادر التضارب بين التقاليد الاخلاقية وفيه غموض في السلوك الجنسي .

اذاً فعلينا ان نسأل: ما الذي تقدمه المومس للرجل المتزوج ولا يجده في بيت الزوجية او في اية مخارج متعارف عليها ؟ وما الذي يستهوي الرجل بالبغاء في مجتمع مثل لبنان ؟

(١) في مجتمع تقليدي يتسم بصرامة قوانينه الاخلاقية يسهل على الرجال كبت بعض غرائزهم الجنسية الاباحية . ومع انحلال التقـاليد الاخلاقية — كنتيجة حتمية للتغير الاجتماعي والاتجاه الدنيوي — تبدأ بعض القيود والتشديدات بالانحـلال ايضاً ، ومن ثم تخف الروادع الاخلاقية التي تمنع الرجل المتزوج من ارتياد بيوت البغاء لارضاء تلهفـه الى التنويـع والى الاباحية . وقد يكون العكس صحيحاً ايضاً ، فبامكاننا القول ان استمرار بعض معايير السلوك الجنسي المتزمتة التي تتغاضى عن الموقف القائل بوجوب فصل الجنس عن الحياة العادية ، قد يؤدي الى توقف الرجل عن « امتهـانه » لزوجته كسلعة جنسية . ان الرجال الذين ينشأون في ظل هذه المقاييس المعوجة يجدون منفذاً طبيعيـاً

لمشكلتهم في تعاطي الجنس المطروح في الاسواق .

يقول ويلاند يونغ: «اذا اعتقدت ان الجنس شيء يمكن فصله، او ذهبت ابعد من ذلك فاعتبرته شيئاً مهيناً ، مخزياً ، محرماً ، شيئاً تود للمرأة المهذبة ان تتجنبه ، فلن يكون لديك آنذاك سبب يمنعك من ابتياعه » .

ومن هنا كان علينا ان نؤكد ان هؤلاء الرجـــال ليسوا بالضرورة منحرفين جنسياً ، فان اغلبهم، وخاصة من ترعرع منهم في ظل معايير جنسية قاسية ومتزمتة ، لا يستطيعون حمل انفسهم على الانحراف عن مستويات اللياقة والخصـال الحميدة التي تتوقعها منهم زوجاتهم . ان بعض الشطحات في عالم البغـاء بين الفينة والفينة ، قد تكون منفساً ملائماً لهم .

(٢) ان البغاء في لبنان ، وخاصة جانب الطلب منه ، ظاهرة ترتبط بالطبقات الدنيا لحد بعيد . فان زبائن المجيبات هم باغلبيتهم من الطبقات الاجتماعية الاقتصـادية الدنيا في المجتمع . ومعرفة هؤلاء الجماعات لطرائق منع الحمل او تحديد النسل محدودة جداً . فاذا ما اخذنا بعين الاعتبار المتاعب الاقتصادية التي يجابهونها ، فان بعضهم قد يلجأون احياناً الى المومسات لاشباع حاجاتهم الجنسية بدلاً من المخاطرة بمضاجعة زوجاتهم وانجاب مزيد من الاطفال .

(٣) وثمة سبب آخر لتردد المتزوجين على المومسات ، رغم انه لا يقتصر على الطبقات الاجتماعية الاقتصادية الدنيا في لبنان، وهو ضعف صحة الزوجات الذي قد يجعل المضاجعة اما خطرة او غير مستحبة وفقاً لطبيعة المرض . وفوق ذلك فان حياة الطبقات الفقيرة في اي مجتمع تتطلب من ربة البيت جهداً بدنياً اضافيـاً قد يجعلهـا غير قادرة على مجاراة شهوة زوجها الجنسية . وهنا ايضاً قد يضطر الزوج الى تعاطي الجنس خـارج البيت بدلاً من معاناة الحرمان الجنسي .

(٤) وهناك اخيراً مجموعة من الرجال يعشقون المومس بحد ذاتهـا او لما تعنيه بالنسبة لهم . وهؤلاء لا يحاولون التخلص من التقاليد او من انجاب الاطفال او من الزوجة العليلة المزعجة ، بل انهم يجدون متعة خاصة في طبيعة الحيـاة الجنسية التي تسود بيوت البغـاء عادة والتي تتسم بالفظاظة والخشونة والابتذال والبذاءة . وكلما ازدادت هـذه الصفات شناعة ، ازداد انجذاب هذا الصنف من الرجال الى المومسات . ومن الخطأ ان نتصور ان الرجال الافظاظ البذيئين فقط هم الذين تستهويهم الفظاظة والبذاءة التي تتصف بهـا عادة

البيوت « ذات السمعة السيئة » . فعكس ذلك هو الصواب في اغلب الاحيان . فغالباً ما يحس الذكور المكبوتون ، الخجولون، والعنينون بالحاجة الى ارواء ما يعتمل في داخلهم من شهوات بدائية اباحية . وقد يفلح جو المواخير المثير في استنهاض بعض غرائزهم الحبيسة ، وبالتالي فقد يتحللون من كل القيود التي يفرضها عليهم المجتمع المتزمت .

ومهما يكن من امر فالواقع ان الرجال، على اختلاف طبقاتهم وانماط حياتهم ، يحسون احياناً بالحاجة الى التعبير عن غرائزهم الجنسية بطريقة متحللة من كل قيد، او «الانغماس في اتون الشهوة » على حد قول بعض الاخلاقيين. ويجب ان نضع هذه الحقائق نصب اعيننا كلما نوقشت احتمالات الغاء البغاء او فضائل الغائه .

وبالاضافة الى الزبائن ذوي الشهية الجنسية العادية الذين يترددون على بيوت البغاء بقصد التنويع او المغامرات الجنسية ، ثمة آخرون يعانون عاهات غير مستحبة . وقد لا يكون وجود العاهة سبباً بحد ذاته ، الا انه قد يتولد لدى هؤلاء الناس شعور بالخجل او الحرج، ربما وقف حائلاً بينهم وبين استثارة الحب لدى النساء. ولمثل هؤلاء الرجال يكون البغاء نعمة ، لانهم بدونها سيقضون حياتهم نساكاً .

وهناك ايضاً الشواذ ومن يعانون الضعف الجنسي والانحراف بأنواعه ، الذين يجدون متنفساً ملائماً لهم عن طريق دفع المال لاشباع حاجاتهم الشاذة . ان مثل هذه الحالات تدفع بعض الناس الى التأكيد بأنه اذا كان للمومس وظيفة اجتماعية فعالة فانها ستكون مع الشواذ واصحاب العاهات . اما مسألة ما اذا كان من الصواب ايجاد هذه الطبقة من النساء لاشباع الحاجات الجنسية عند المنحرفين وذوي العاهات المنفرة ، فهي مسألة اخلاقية الى حد بعيد ولن نتصدى للاجابة عنها هنا .

وهناك ، اخيراً ، عدد لا بأس به من الرجال الذين لا يرغبون في الزواج ، او يريدون تجنب التعقيدات – العاطفية وغيرها – التي قد تنجم عن العلاقات مع النساء العاديات . وقد يكون هؤلاء الناس خالين من ايما عجز داخلي على المستويين الشخصي والاجتماعي ، وقد تكون الشروط الاقتصادية الضرورية متوفرة لديهم ، وقد يلتقون في كثير من الاحيان مع ما يسمى بالشريك او الرفيق المناسب ، الا انهم ، ببساطة ، ليسوا من النوع الذي يتزوج . وان فكرة الاتحاد الدائم غير المنفصم تبعث فيهم الرعب . وهم لا يبدون اهتماماً خاصاً بالمسؤوليات العائلية او يظهرون عطفاً على الاطفال مهما كان نوعه . فهم عزاب باختيارهم . وفي كل المجتمعات تقريباً يندفع الرجال من هذا النوع مع رغبتهم

الكاسحة في الحفاظ على حريتهم ، فيعيشون حياة منعزلة عن الروابط العائلية ومتحررة منها . والبغاء لمثل هؤلاء الناس مؤسسة لا يمكن الاستغناء عنها . ومن حيث انهم أنانيون وغير مسؤولين، فقد يكون من الافضل عدم تشجيعهم على ان يصبحوا ازواجاً او آباء.

واما ضرورة تزويد المجتمع لمثل هؤلاء الناس بوسائل لاشباع رغباتهم الجنسية فهي ايضاً مسألة اخلاقية تحتمل النقاش . والحقيقة التي يجب ان تتأكد لدينا هي ان حاجات هذه الفئة يجب ان تقضى . الا ان علينا ألا نبالغ في تصوير هذه الحاجات ، سواء أكان اصحابها منحرفين او عزاباً عاديين موفوري الصحة . فقد لاحظ ذلك الدكتور كنزي وزملاؤه ، وقد لا تكون ظروف لبنان الحالية بعيدة كل البعد عن الظروف التي كانت تسود الولايات المتحدة عام ١٩٤٨ عندما اجرى كنزي دراسته . لقد لاحظ « ان كثيراً من الجماعات المهتمة بضبط العلاقات الجنسية غير الزوجية قد ركزت اهتمامها على البغاء ، بينما لا يشكل البغاء بالفعل الا عُشر النشاطات الجنسية غير الزوجية التي يقوم بها الرجال في المجتمع. ان الاهمية الاجتماعية لمضاجعة المومسات تفوق بكثير اهميتها كمنفذ للرغبة الجنسية ».

٣ – **الوضع الاجتماعي الأقتصادي** : وقد طلبنا من المجيبات ايضاً تحديد منزلة زبائنهن الاجتماعية الاقتصادية ووضعهم المهني .

وجد علماء الاجتماع ان السعي وراء المغامرات الجنسية الليلية عادة شائعة بين الذكور الشباب نسبياً ، الذين هم في اسفل السلم الاجتماعي . وبالاضافة الى ذلك ، ففي مجتمع انتقالي كلبنان ، نلاحظ حرية جنسية اوسع ، وبالتالي انحلالاً لبعض القيود التقليدية المفروضة على السلوك الجنسي . وقد انتشرت هذه الحرية بشكل واسع في صفوف الطبقة الوسطى. وحيث انه اصبح بمقدور الرجال، نظراً للتغير الاجتماعي، ان يجدوا منافذ «انبل» واكثر امتاعاً يستطيعون من خلالها ارضاء حاجاتهم الجنسية، فقد قلت المبررات لدى الطبقات المتوسطة والعليا من السكان للسعي وراء المومسات المحترفات . وعلى العموم فقد اصبح البغاء المرخص ظاهرة تتعلق بالطبقات الدنيا بشكل اساسي. وذلك ما تبينه لنا الاجابات: فان ٥٠ بالمائة تقريباً من المجيبات ذكرن ان اكثر زبائنهن هم من الطبقات الدنيا في المجتمع. واشارت ٢ بالمائة منهن فقط الى ان اكثر زبائنهن المنتظمين هم من الطبقة العليا .

وقد اشارت المجيبات الى ان ٧٣ بالمائة من زبائنهن هم عادة من الشغيلة وعمال المصانع ، اما البقية فهم يتوزعون بالتساوي بين الجنود والطلاب وموظفي المكاتب .

٤ – **العلاقة بالزبائن** : ما هو نوع العلاقة القائمة بين المومسات وزبائنهن ؟ كم مرة استطعن ، خلال ممارستهن للمهنة ، اقامة علاقات وثيقة وحميمة مع من يترددون عليهن ؟

علينا ان نذكر ان احدى الخصائص الكبرى المميزة للبغاء ، والتي تفسر لنا استمرار هذه التجارة القديمة على مر التاريخ ، هي طبيعته الحيادية اللاشخصية واللامنفعلة . فالبغاء متيسر لكل من يستطيع الدفع ، لذلك فانه يقوم على ارتباطات عابرة ووقتية ومحض تجارية . وعلى حد قول البروفسور ديفز ، فان « استجابة المومس الجنسية لا تتوقف على شخصية ضجيعها بل على المكافأة . كذلك فان استجابة الزبون لا تعتمد على هوية المومس بل على الاكتفاء الجسدي » . اذاً فالعلاقة بين الطرفين هي علاقة تجارية وغير شخصية .

وقد سجل هذا الطابع اللاشخصي اكثر من مرة خلال البحث . وذلك ما تجلى في عجز المجيبات عن تحديد بعض العوامل ، كاعمار الزبائن ووضعهم الزوجي ومنزلتهم الاجتماعية الاقتصادية . وهناك ايضاً دليل آخر ربما كان اكثر اهمية : وهو ان اغلبية المجيبات لم يستطعن تنمية اية علاقة حميمة مع الزبائن . ان اكثر من ٧٧ بالمائة ذكرن انه لم تكن لهن (او نادراً ما كانت لهن) اية علاقة وثيقة بزبائنهن . والواقع ان الفتيات قد تجنبن مثل هذه العلاقات عن قصد ، لان اكثرهن قد اعترفن بصراحة ان الرجال يشتهون مالهن فقط ولا يكنون لهن حباً خالصاً . وعلى حد قول احداهن : «الصاحب يحتاج الى مال . وانا افضل ان انفق على حالي وعلى اختي وعلى امي بدلاً من ان انفق على صاحبي » . وكان ثمة جواب نموذجي آخر : « لا اثق بجنس الرجال ؛ اريد مالهم فقط » .

الا ان هناك عدداً منهن ما زال يحن الى تنمية صلات حميمة ووثيقة بالزبائن . وقد تكونت لدى اغلبيتهن قناعة بأن هذه العلاقات قصيرة ولا جدوى منها ، الا ان الواحدة منهن تستمد من هذه العلاقات دعماً عاطفياً بغض النظر عما قد تتكشف عنه العلاقة من خداع وتضليل . وقد عبرت عن ذلك احداهن ابلغ تعبير اذ قالت : « نحن نكرههم ولكن لا بد منهم . نعرف انهم يسرقوننا اموالنا ولا يريدون منا سوى المال . لكننا بشر من لحم ودم ، لا حجر . نريد ركائز أو عكائز » .

وتجدر الاشارة هنا الى ان الفتيات يسعين الى اقامة مثل هذه العلاقات ، بلا تمييز ، مع رجال خارج نطاق المهنة . وهن يتقبلن ، بضغينة وبرود ، ما في هذه العلاقة من تصنع وضحالة . والواقع ان اختلاط الفتيات مع اصدقاء لهن خارج المهنة ليس الا ردة فعل لهذه الحقيقة . فالى جانب ما تؤديه هذه العلاقات من وظيفة غرامية او دعم عاطفي ، فانها

تشكل منفذاً مهماً تروّح به الفتاة عن نفسها من متطلبات المهنة المرهقة واللاشخصية. كما انها تعمل على ارضاء تلهفها الى امتلاك شيء مـــا ، فعندما تنفق الفتاة ببذخ على صديقها فانها تشعر بأنها تشارك شخصاً آخر في حياته .

صلاتهن المهنية ووسائل الترويح

بما ان اكثر الفتيات يدركن ان المجتمع ينظر اليهن على انهن منبوذات، فانهن يتخوفن من الصلات التي تربطهن بالناس الذين يمثلون « المجتمع الشريف » . وان وعيهن لما يكنّه المجتمع لهن من مشاعر الازدراء لم يقف عثرة في سبيل دخولهن المجتمع ثانية فحسب، بل تعدى ذلك الى تكثيف احساسهن بالعداء والمرارة . وطبيعي ان ذلك قد دفع بالفتيات الى حصر صلاتهن بالناس الذين يعيشون النمط ذاته من الحياة . وفي حال البغـاء المعزول يصبح هذا الحصر لا مناص منه ، وامراً قسرياً في احيان كثيرة .

ان المومس محرومة من الود والتلقائية اللذين يتسم بهما التفـاعل الانساني . ولا يقتصر ذلك على صلاتها الشخصية ، بل يتعداه الى ارتباطاتها المهنية المحدودة. وقد عبرت احدى المجيبات عن هذا الافتقار الى الحنو الانساني عندما وصفت حياتها في الماخور بأنها تشبه حياة الاوتيل : « كل بنت لها غرفتها وكنبتها ولا نمتزج كثيراً ببعضنا » .

وبقصد تحديد خصائص الصلات المهنية ، وجهنا الى الفتيات السؤال التـــالي : « على العموم، ما مدى وثوق علاقتك بزميلاتك في المهنة ؟ وبعبارة اخرى، الى اي حد تشعرين بالثقة وانت تبحثين معهن مشكلاتك الخاصة ؟ »

من بين الفئات الثلاث التي ترتبط بها المومس ، يبدو ، كما هو متوقع ، ان علاقتها هي اوثق ما تكون مع زميلاتها في المهنة . فان اكثر من ٧٣ بالمائة من المجيبات قد اعتبرن علاقتهن بغيرهن من المومسات وثيقة او وثيقة جداً . وعلينـا ان لا ننخدع بذلك ، لأن الاسباب التي قدمتها البنات لمثل هذا الود تفصح عن طبيعته القسرية واللاشخصية . لقد شعرت ٤٠ بالمائة تقريباً ان الود المتبادل فيما بينهن يعود الى « اننا مقاطيع مثل بعضنا ، نتعزى ببعضنا البعض ». اما البقية فقد كان تقاربهن الظاهري تعبيراً عن احساس مستسلم بأن المهنة ، او المبغى على الاقل ، يفرضان على النزيلات جواً جماعياً لا تستطيع الواحدة ان تعيش بدونه . اما اللواتي كانت علاقاتهن ببقية المومسات واهية فقد احسسن ان ذلك يعود الى الغيرة التي لا مفر منها ، والى المنافسة التي تبرز بين من يبيعون نفس السلعة :

« اننا نتناحر كالذئاب » ، وقد استعمل عدد منهن هذا التعبير للتنديد بسلوك الفتيات الاخريات في المبغى . وهناك فتيات اخريات يتجنبن ، عن قصد ، اقامة اية صلة وثيقة ، ويرجع ذلك ، حسب تعبير احداهن ، الى « ان الفتيات الاخريات يذكرنني بتعاستي » .

اما الصلات بالبطرونة فهي ليست احسن حالاً . فالبطرونة ، بحكم الدور المزدوج الذي تلعبه كتاجرة وكشخصية ذات سلطة ، غالباً ما تصور بشكل مهين كمستغلة متعجرفة او كطاغية مستبدة في بعض الحالات . وعلى احد هذين الوجهين ، اي وجه التاجرة المستغلة ، ينصب اكثر الحقد والضغينة . فمن المجيبات السبعين اللواتي اعتبرن صلتهن بالبطرونة واهية ، ذكرت ٨٠ بالمائة تقريباً ان هذا العداء يعود الى سعي البطرونة وراء مصالحها التجارية الجشعة . وقد عبرت عدة مجيبات عن هذا الاحساس بايراد مثل طالما تردد على لسان البطرونة : « قرش من ظهرك ولا يوم من عمرك » . وعبرت اخريات عن حقدهن بمرارة اكثر تجاه كل البطرونات لأنهن « يبعن آلامنا وأجسادنا بالثمن الزهيد ولهن حصة الاسد » .

غير ان هذه المشاعر لا تتميز كلها بالمرارة والعداء : « فالطاغية » قد يستحيل الى صديق . فحيث ان البطرونات مومسات متقاعدات ، فقد يظهرن احياناً ما يشبه عطف الام على البنات ويبدين بعض الاهتمام بحالتهن . اما الفتيات فيدركن جيداً زيف هذا الاهتمام ، لان البطرونة لا تبديه في اغلب الاحيان الا حفاظاً على مصالحها التجارية . ومهما يكن من امر ، فان اللواتي اعتبرن صلاتهن بالبطرونة حميمة ووثيقة قد احسسن بمثل هذا الاهتمام .

وما هو الامر بالنسبة لعلاقتهن بالقوادين ؟ ان من عادة المومسات ، خاصة حسبما هو شائع في الغرب ، ان يقمن بعض الصلات بالقوادين . وهؤلاء ليسوا عملاء بالضرورة ، مع انهم قد يعملون على هذا الاساس في كثير من الحالات . فبينما يتاجرون بعواطف الفتاة وبحاجتها الى الحنان والصداقة ، فانهم يقدمون خدماتهم متقنعين بقناع المحبين والعشاق – اي بحجة انقاذ الفتاة في المستقبل من واقعها الحالي المزري . ومقابل مثل هذه «الخدمات» فانهم يعتاشون على ما تحصله الفتاة .

وخلافاً للآراء الشائعة ، فان القواد لا يلعب دوراً هاماً في حياة المومس اللبنانية . فقد بينت لنا الاجابات ان اكثر من ٩٥ بالمائة من المجيبات انكرن وجود أية صلة لهن مع القوادين ، او اعتبرن هذه الصلة واهية (وذلك متوقع : فحيث ان البغاء شرعي ، فان الفتيات قد يستغنين عن خدمات اي فريق ثالث يعين نفسه وصياً على الفتاة وحامياً لها) .

وربما كان القواد قد لعب دوره بطريقة عرضية او غير مباشرة ، عندما اقتاد الفتاة او دفعها الى ممارسة المهنة . وعند انخراط الفتيات في المهنة لا تبقى الا قـــلة منهن على صلة وثيقة او علاقة شخصية مع القوادين .

يبدو ان وسائل الترويح عن النفس لدى المومسات لا تختلف عن وسائل الترويح لدى غيرهن من البنات اللواتي يماثلنهن في المستوى التربوي والاجتماعي الاقتصادي . وربما كان الفرق البسيط ناتجاً عن آثار هذه المهنة المتلفة واحتجاز الفتيات في منطقة البيوت العمومية . وكما هو متوقع ، فان وسائل الترويح لديهن هي من الأنواع البليدة وغير الخلاقة : فان التحدث والثرثرة ، والنوم ، والاستماع للموسيقى ، ومشاهدة التلفزيون ، هي « النشاطات » التي تشغل معظم اوقات فراغهن خلال النهار . وجاء تعاطي المشروبات والقمار (كلعب الورق والمراهنة على جياد السبق) في الدرجة الثانية من حيث التكرار . ولم يكن ثمة اي دليل ، كما نرى في الاجابات ، على اهتمام الفتيـــات بما تشغل به النساء أوقات فراغهن عادة ، كأشغال الابرة والحياكة . واذا ما أخذنا بعين الاعتبار مستواهن التربوي المحدود ، ادركنا انهن لن يبدين بالطبع اي اهتمام بالمطالعة او غيرها من النشاطات الخلاقة .

وعلى ذلك يمكن القول ان عينة المومسات التي تناولهـا البحث كانت ، على العموم ، مجموعة لا هواية لها ؛ فليس ثمة اشارة الى انهن يقضين وقت فراغهن بشكل مفيد وفعال ، بحيث يخفف عنهن بعض الارهاق الذي تفرضه المهنة بطبيعتها .

مفهومهن لمهنتهن

ان كل من يشتغل بمهنة يعتبرها المجتمع مهنة « مرذولة وآثمة » لمدة تتجاوز ١٧ عاماً ، مجرداً من كل الاعتبارات والحقوق المدنية ، ومحجوزاً في « المنازل الموبوءة » ، لا بد وان تعكس نفسيته كل ما في المجتمع من رياء وتخبط في القيم . ان المومس (وربما كانت محقة في ذلك) لا تستطيع ان تغفر لمجتمع يلعنها على رؤوس الاشهاد الا انه يتغاضى عما يمكن ان تقدمه خلسة ويشجع عليه . انها لا تستطيع التوفيق بين الدور الذي يتوقع منها ان تؤديه وبين المنزلة الوضيعة التي يعينها لها المجتمع . ان قيمها ومشاعرها تجاه مهنتها وتجاه المجتمع الخارجي ، وما تحب وما تكره ، ليس الا نتيجة جانبية لموقف المجتمع منها . والمومس ، كفرد في فئة اجتماعية منحرفة ، غير متمردة – بمعنى الاحتجاج ضد مساوىء

المجتمع . فهي ، ببساطة ، تعاني من حالتها الراهنة لكنها تحس بعجزها عن عمـــل اي شيء. فان تجربتها في هذه المهنة قد اكسبتها الصلابة والخشونة بدلاً من ان تفسد اخلاقها! لقد اصبحت قوية الشكيمة لانهـــا تعاني باستمرار الاحساس بالضغينة والحسد وعواطف الانتقام المكبوتة هذه .

والمومس ، بسبب وضعها في البنـــاء الاجتماعي ، اميل من غيرها الى ان يتولد لديهـا ما يسميه نيتشه « بالضغينة » . ولهذا المفهوم ، باختصار ، ثلاثة عناصر مترابطة تتبدى بوضوح في مشاعر الفتاة التي تتسم بالمرارة والعداء تجاه ما يسمى بالمجتمع المحترم وتجاه الظروف التي ادت بها الى الانخراط في هذه المهنة . فالعنصر الاول هو ان اكثرية الفتيات يحملن مشاعر مبعثرة من الكراهية والحسد والعداء . فمثلاً عندما تحدثن عما يحببن وعما يكرهن في المهنة، فقد عبرن عن هذه المشاعر بعبارات عامة جداً ومبعثرة. واحياناً كانت الفتيات عاجزات، بشكل مذهل، عن تحديد الاسباب المعينة لتذمرهن. واما العنصر الثاني فقد بدا ان الفتيات يعانين من شعور طاغ بالعجز عن التعبير عن احاسيسهن بسهولة تجاه الاشخاص والاوضاع الاجتماعية التي تستثير فيهن مثل هذه الاحاسيس. ويبدو ذلك جلياً في موقفهن القدري المستسلم ، وبشكل خاص تجاه مشاريعهن للمستقبل وعلاقتهن بالبطرونة . امـا العنصر الثالث والاخير فهو ان بقدور الفتيات ، بحكم وضعهن ، الاستمرار في معاناة هذا « العداء العاجز » .

ما هو موقفهن ، اذاً ، من المهنة ؟ وما هو ، على التعيين ، مـا يحببن وما يكرهن في المهنة ، او في حياتهن الحاضرة في المبغى ؟

كما تبين لنا الاجابات، ذكرت اكثر من ٧٠ بالمائة انهن لا يحببن اي شيء على الاطلاق. وكن دائماً يوضحن اجاباتهن بالقول ان الحاجة فقط هي التي تجبرهن على البقـــاء . وثمة مجموعة اخرى تقارب ٢١،٥ بالمائة وجدن في النقود عاملاً مرغباً، خاصة وانها قد تمكنهن من التحرر والاستقلال . ان « السترة » ، وما توحي به الكلمة من حماية وامان ، تتصدر الدوافع التي تدفع بالفتيات الى البغاء . وقد ورد ذكرها بشكل محدد عنـد اكثر من ١٢ بالمائة من الفتيات كواحدة من النواحي التي يحببنها في المهنة . وبالاضافة الى المضـامين الاقتصادية لكلمة « السترة »، فانها توحي بالشعور بالحماية من مساوىء المجتمع الخارجي. وقد يكون ذلك هو السبب في ان المومس الجوالة، رغم انها قد تكون مرخصة، ما زالت

تعتبر في منزلة سفلى ، لان ذلك يشعر الفتاة بانها مشردة لا بيت لها .

وثمة جوانب اخرى من المهنة اشارت اليها الفتيات بشكل عابر في اجاباتهن عما يحببنه في مهنتهن ، مثل الصلات بالمومسات الاخريات ، وفرصة الالتقاء برجـــل ، او تعاسة الآخرين (وفي ذلك بعض التعزية) ، واخيراً ذكرت قلة منهن انهن يستمتعن بساعـات الفراغ التي لا يمارسن فيها اي عمل .

وما هي الاشياء التي يكرهنها ؟ في هذا المضمار ايضاً كانت مواقف الاغلبية ، وهي ١ ، ٦٣ بالمائة ، عامة ومشتتة . فانهن يكرهن كل شيء . وقد ذكرت عدة مجيبات انه لو ترك لهن الخيار « نأكل الخبز اليابس وننام في الشوارع احسن من هنـــا » . وهناك اخريات ، يقارب عددهن الربع ، كن اكثر تحديداً : فذكرن الوصال الجنسي وسفاهات الزبائن كاحد الجوانب التي يكرهنها في المهنة. وان ما يكرهنه اشد الكره هو خضوعهن لكل من يدفع الثمن ، خاصة منهم السكارى وزبائن الليل .

اما المجموعة الرئيسية الاخرى فقد اتسم موقفها بالتشتت وشابت نظرتها الى المهنـة عواطف مختلطة . وهذه المجموعة تتكون من المومسات اللواتي تعودن على هذه الطريقة في الحياة ، واضطررن الى القناعة بنصيبهن رغم تذمرهن الداخلي منه . وقـــد عبرت المجيبات عن هذا الموقف بالاجابات التالية : « ما الفائدة من كره شيء لا استطيع الفكاك منه ابداً ؟ » « اذا عملت في مكان ما سوف يقولون : شرموطـة ؛ اذا دخلت الدير سوف يقولون : شرموطة ؛ اذا تزوجت سوف يقولون : شرموطة ؛ فالافضل ان ابقى هنا » .

وثمة اخريات ركزن اهتمامهن على سمعة البيوت العمومية ، والحياة في داخلها ، خاصة الاحساس والاستعباد ، والحجر ، والروتين القاتل الذي يخضعن له . والطريف ان ٧ فقط من المجيبات ذكرن عواقب المهنة الوخيمة المتعلقة بصحتهن وسلامتهن من الامراض. كما ان عدداً اقل من ذلك ابدين الكراهية تجاه البطرونة ، مع انها في مواضع اخرى تبرز كهدف لضغينتهن. وكان جواب احداهن غاية في الطرافة ، اذ ذكرت ان حرارة الصيف هي كل ما يضايقها في هذه المهنة !

ولكي نتبين موقف المجيبات من المهنة بشكل اوسع ، فقد طرحنا امامهن الوضعين الافتراضيين التاليين : « لنفرض انه كان عليك العيش في جزيرة غير مأهولة لمـــدة عشر سنوات . من هما الشخصان اللذان تودين كثيراً — أو لا تودين بتاتا — ان يكونا معـــك هناك » ؟ وفيما يتعلق بالوضع الاول ، قالت ٥٤ مجيبة انهن يفضلن العيش وحيدات دونما

صحبة . اما البقية التي اختارت احد الوضعين ، فقد فضلت ٤ ، ٤٧ بالمائة منهن ان يكون اطفالهن معهن ، وظهر ان ٦ ، ٢٥ بالمائة منهن ما زلن في اشتياق الى آبائهن او ذويهن . وذكرت ٥ ، ١٢ بالمائة فحسب انهن يفضلن صحبة صديق ، ورغبت نسبة اقل من ذلك (٥ ، ٨) في صحبة زوج . وعلينا هنا ان نلاحظ هذا التشوق الشديد الى الاطفال والى افراد العائلة المقربين .

اما بالنسبة للاشخاص الذين لا تود المجيبة وجودهم معها، فقد كان الزبائن والبطرونات والقوادون على رأس القائمة . اما الاقارب والازواج فقد وردوا في نهاية القائمة .

والى جانب اكتشافنا لما تحب الفتيات وما تكره ، فقد طلبنا اليهن تقييم حياتهن قبل انخراطهن في المهنة وبعده . وقد احست اغلبية الفتيات ، كما هو متوقع ، ان انخراطهن في المهنة كان تجربة بائسة وتعيسة في حياتهن . اما الشيء الذي لم يكن متوقعاً فهو ان نسبة عالية من المجيبات تربو على ٤٢ بالمائة ذكرن انهن عشن حياة سعيدة نسبياً قبل انخراطهن في المهنة . وذلك لا يتفق والانطباع الذي سجلناه سابقا ، خاصة فيما يتعلق بالنسبة العالية للبيوت المتفسخة ، والتجارب الجنسية المبكرة ، والزيجات غير السعيدة التي عاشت الفتاة ضمنها . الا انه يجب الا يغرب عن بالنا ان الفتيات يقيّمن حياتهن السابقة بمنظار وضعهن الراهن . واذا ما نظرنا الى تذمرهن الحالي والظروف الانسانية التعيسة التي يعشن فيها ، ادركنا ان حنينهن الى الماضي ربما دفع بهن الى رسم صورة وردية قشيبة لايام الصبا والطفولة .

ويتضح لنا ذلك من الاسباب التي تقدمن بها لتفسير سعادتهن النسبية قبل الوقوع في براثن هذه المهنة . كان على رأس هذه الاسباب شعورهن بأنهن كن جزءاً من عائلة او انهن كن صبايا لاهيات . وقد كان التحلي بالفضيلة والاحترام عاملاً مهماً لدى ٢٠ بالمائة من المجيبات . وغني عن القول ان حياتهن الراهنة لا تسبغ عليهن مثل هذا الشعور . فبالاضافة لفقدان الفتيات كلا من الفضيلة والحرية ، فانهن ما زلن يتلمسن وصمة العار التي وصمهن بها المجتمع . وفي ذلك ، بالنسبة لهن ، خسارة لا تعوض . وقد أحسنت احدى المجيبات التعبير عن هذا الإحساس بقولها : « مع انني كنت فاقدة والدي ، الا اني كنت مستورة وحرة . اما هنا فاحس انني سجينة ، سجينة الرذيلة . والمجتمع ينظر اليّ نظرة غريبة » .

وبينما ذكرت ٣، ٧٢ بالمائة ان حياتهن قد اصبحت أسوأ من ذي قبل ، نرى ان ٩، ٦

بالمائة فقط قد شعرن بأن حياتهن قد اصبحت احسن من ذي قبل . وأشارت البقية ، اي ٢٠٪ بالمائة ، ان حياتهن ما زالت كالسابق . أما الأسباب التي اعطينهـا فانها تشبه الى حد بعيد اسباب كرههن او حبهن للبغاء كمهنة. الا ان ثمة اجماعاً ، كما يبدو ، فيما بين اللواتي شعرن بتحسن في حياتهن . وهنا ايضاً تردد ذكر «السترة» والاكتفاء المالي والمادي الذي توفره المهنة . وقد تراوحت الاجوبة بين اقوال متطرفة من نوع « انا اليوم مستورة . لم اعد انام على التراب . اصبحت على تخت »، الى اجابات الفتيات اللواتي ادارت رؤوسهن قدرة المال على شراء كل شيء ، مثل : «رغم تحكم الزبائن فينـــا ، وحرماننا من العطف والحنو ، فاننا لا نشتهي شيئاً الا ويمكن الحصول عليه» . وهناك ، أخيراً ، فئة استهواها بشكل غريب الاطمئنان النفسي الذي يرتبط في أذهـان الفتيات بوجودهن كنزيلات في المبغى : « نتمتع هنا بالسترة والحماية . اما في الخارج فخطر وعدم استقرار » .

وحاولنا اخيراً ان نعرف المزيد عن مفهوم المومس لمهنتها ، فطلبنا الى المجيبات ان يصفن الفتاة المثالية في مهنتهن ، خاصة في ما يتعلق بالصفات المعينة التي يجب ان تتوفر فيها ، او اي نوع من الفتيات يجب ان تكون .

ومن الطريف هنا ان نعرف ان تصور المجيبات للصفات التي يجب توفرها في المومس المثالية يعكس ، من عدة نواح ، بعض العناصر الاساسية للبغاء ، كما يبين لنا المتطلبـات التي تستطيع بها الفتاة القيام بمهمتها. فان الحديث اللبق البارع، بلسان « ذلق» «دافىء»، يتصدر المكانة الاولى بين صفات الفتاة ، وقد ذكرته حوالي ٨٠ من المجيبـات كعنصر لا يمكن الاستغناء عنه لتحقيق النجاح والشعبية . اما الجلد وعدم الاكتراث العـاطفي فقد جاءا في المرتبة الثانية ، ويشير ذلك الى ميلهن للتجلد والصبر . وضبط العواطف والبرودة التامة . كما ينبغي على المومس التمتع بدرجة من الحذق والذكاء تمكنها من معالجة بعض ما تجابهه في مهنتها من مواقف عصيبة ، وقد اعتبرتها ٣٠ من المجيبات واحدة من الصفات المثالية . ومما يبعث على الدهشة ان نلاحظ ان صفات الصبا والجمال والتهتك لم تكن ذات اهمية كبرى في نظر المجيبات .

ويجب ان نشير هنا الى بعض الصفات الاخلاقية التي أظهرتها عدة مجيبات . لقد أشار بعض الكتاب ممن تناولوا هذا الموضوع الى الخصال الاخلاقية التي تتمتع بهـا المومسات . الا ان مثل هذه الملاحظات غالباً ما تهمل باعتبارها ظواهر عرضية تتنـــاقض وطبيعة

المهنة . فهل من الممكن، كما يقول هؤلاء ، لفتاة انغمست في عالم قاس ولا شخصي، قوامه الخديعة والشر ، ان تحتفظ بصفات الاخلاق والفضيلة ؟ ان مثـــل هذه الظواهر ليست ممكنة فحسب، بل انها ، في حالات كثيرة ، قد تكون رد فعل متوقعاً وذا دلالة، يتولد لدى الفتاة كنتيجة لانخراطها وتجربتها في المهنة . وقد اتيح لنـا تسجيل ذلك في حالات عديدة اثناء البحث . ان ما تبديه الفتيات من عواطف الامومة والبنوة ، والاحسان الذي يقدمنه لبعضهن البعض ، وترفعهن عن ذكر اية زميلة لهن بكلمـــة سوء ، كل ذلك شاهد على ما يتمتعن به من خصال اخلاقية . ويشهد على ذلك ايضاً تعـاطفهن مع الفقراء وامتناعهن عن استقبال الصبيـــان المراهقين (اعترفت بعض المجيبات مثلاً انهن في بعض الحالات لا يتقاضين نقوداً من الزبائن المعوزين، مع انهن يدفعن العمولة المعتادة للبطرونة). وثمة اخريات وجدن الملاذ في الدين ، ويبدو عليهن الاهتمام الحقيقي بخلاصهن يوم الآخرة او بصفائهن الروحي .

مشاريعهن للمستقبل

ما هو المستقبل الذي ينتظر المومس ؟ هل تقدّر ، بشكل واقعي ، الفرص المتاحـة لها لترك مهنتها ؟ واذا كان الامر كذلك، ففي اية ظروف ستتركها ، وما نوع فرص العمل المتاحة لها ؟ ان هذه الاسئلة يجب ان تكون موضع اهتمام المعنيين بتأهيـل المومسات المعزولات واعادتهن مجدداً الى الوسط الاجتماعي .

وردّاً على سؤال حول امكانية تركهن للمهنة لسبب ما ، اجابت ٥ ، ٨١ بالمائة منهن بنعم، وذكرت البقية وهي ٥ ، ١٨ بكل صراحة ان الفرص السانحة لهن للتخلي عن المهنة معدومة تقريباً . وقد كان رد اليائسات منسجماً مع اجاباتهن السابقـة ، اذ فسرن ضآلة الفرص امامهن بأحد امرين مألوفين، اولهما هو موقف : « اين سأذهب وماذا سأعمل ؟ »، وثانيهما موقف المقتنعات بانه لن يكون بمقدورهن ابداً تحصيل الدخل نفسه في اي مـكان آخر . ويمكن استخلاص هذين الموقفين كليهما من الجواب التـالي : « ليس لي معيشة غير هنا . ليس لديّ اهل وليس لديّ صنعة . اذا خرجت فسوف اعمل بالشوارع ، فافضـل ان ابقى هنا » .

وما هو الامر بالنسبة للواتي رددن بالايجاب ؟ ومـا هي الظروف التي سيتركن فيهـا المهنة ؟ ان اكثر من نصف المجيبات الـ ١٠٦ بنعم قد ذكرن انهن سيتخلين عن المهنة حالما

تتوفر لديهن كمية كافية من المال ، او حالما يسددن مـا عليهن من ديون . وبنغمة مشابهة لهذه النغمة الاقتصادية ، ذكرت المجموعة الكبرى الثـانية (٣١) من المجيبات بانهن سيهجرن المهنة اذا توفرت لهن « السترة » او اذا اتاح لهن رجال ما فرصة للندم والتكفير عن سلوكهن السابق بواسطة الزواج . وقد كان الحصول على مهنة شريفة اعتباراً آخر قد يترتب عليه تخلي ١٠ فتيات عن مهنة البغاء. واستكانت ٨ مجيبات اخريات للقضاء والقدر فاستسلمن لارادة الله. اما بقية المجيبات ففي نيتهن التخلي عن المهنة في ظروف متنوعة تتراوح بين الحصول على مكان للعيش، الى الانخراط في سلك الرهبنة ، الى ربح جائزة اليانصيب.

وما هي فرص العمل ؟ اذا لم يحدث تبدل ملموس في الموقف العام تجاه المومس، وهذا ما يتعذر حدوثه بين ليلة وضحاها ، فان المومس ستفقد كل فرصة مهما كان نوعها لقبولها في صفوف الفئات العاملة في المجتمع ، وحتى في ادنى رتبة في سلم العمال المهرة .

وعندما سئلت المجيبات عما اذا كن قد تلقين اية عروض للعمـل منذ التحاقهن بمهنة البغاء ، اجابت ١٢ منهن بالايجاب . وقد انحصرت كل طلبات العمل في خدمة المنازل . اما بقية العروض فكانت اما للعمل في الملاهي ، او الخدمة في المستشفيات ، او الخياطة ، او الاشتغال في معمل .

وكيف تفسر المجيبات الـ ١١٨ عدم تلقيهن اية عروض للعمـل ؟ يبدو ان اكثريتهن يعين الوصمة التي وصمت بها مهنتهن . فقد اقرت ٥١ بالمائة ان لا خيار لهن الا الاستمرار في هذه المهنة طالما ان نظرة المجتمع اليهن ستظل على ما هي عليه. وقد عبرن عن ضغينتهن هذه بلهجة قاسية تطفح بالمرارة : « ان بنت هذا المحيط لا يعرض عليهـا شغل . انها في نظر الناس ميكروب او خميرة تفسد المجتمع » . ويزداد هذا الاحساس بالمرارة بازدياد وعي المجيبات للتهتك الجنسي المتغلغل في الطبقات «الممتازة» في المجتمع : « الفرق بيننا وبينهم هو اننا نتعاطى هذا الامر علناً بينما يتعاطاه بقية النـاس بطرق سرية مستترة . خطيئتنا هي اننا نمارسه لنعتاش بينما يمارسه الآخرون لمجرد اللذة والمتعة » .

وثمة فئة اخرى من المجيبات ، تقارب ٢٨ بالمائة ، لم يلقين التبعة برمتهـا على الوصمة التي تلطخ سمعتهن علناً، بل اعترفن ببساطة انهن لا يتمتعن بأية مهارات على وجه التحديد. وقد عبرت احداهن عن ذلك بصراحة : « انني لا احسن صنع فنجـان قهوة ، فكيف بممارستي لحرفة ما ؟ » اما البقية فقد شعرن انه ليس لديهن الاتصـالات الكافية للحصول

على مهنة .

ولما كانت المومس تعاني الامرّين من كل جانب في حياتها الاجتماعية والمهنية ، وتعاني في الوقت ذاته احساساً بالعداء لا يمكن تجنبه ، فليس من المستغرب اذاً ان لا يتولد فيها اي طموح او اية مشاريع للمستقبل . وعلى عكس وصيفات عصر النهضة الايطالية ، وقيان قدماء الاغريق، ومثيلات كريستين كيلر في المجتمع المعاصر، فان المومس اللبنانية المرخصة لا تصبو ، بالطبع ، الى سلطة او جاه ، كما انها لا تطمح الى اي شيء ابعد من الرغبة الجارفة في التخلي عن المهنة . وكل ما تريده هو الهرب من حياتها التعيسة في المهنة، رغم انه قد لا تكون لديها اية فكرة عما سيؤول اليه مصيرها بعد ان تهرب .

وذلك ما يتضح لنا من عجزهن وفشلهن في تحديد اية مشاريع للمستقبل . فان ٤٣ بالمائة منهن ذكرن انه لا تدور في اذهانهن اية مشاريع كهذه : « انني اخشى التفكير في المستقبل » (كما ذكرت احدى الفتيات) « انك تسأل عن مستقبلي كما لو كان لي الخيار . نحن هنا مسيرون ، غير مخيرين » . وبهذا التعبير نفسه عن اليأس والعجز ، ذكرت اكثر من ٢٨ بالمائة منهن ان المشروع الوحيد لديهن هو التخلص من مهنتهن .

ومع ان اغلبية المجيبات يبدو عليهن الاستسلام « لنصيبهن » ، فان الامل ما زال يداعب بعضهن في التخلي عن المهنة في المستقبل القريب . ويدور تفكيرهن في المستقبل بشكل عام في إطارين: اولهما ، ان ثمة فئة يراودها الأمل في عمل ما او مشروع تجاري. فقد ذكرت ٣٢ من المجيبات انهن يأملن في استثمار ما سيتوفر لهن من مال في العقارات ، او في ادارة متاجر مستقلة او بارات او صالونات للتجميل . اما الثاني ، فهو ان ميل الانثى الغريزي الى الحياة العائلية العادية مع الزوج والاطفال ما زال القوة الدافعة في حياة ما لايقل عن ٢٧ من المجيبات . فما زالت تستحوذ عليهن فكرة الزواج او الالتقاء بشخص يوفر لهن « السترة » نهائياً . والحقيقة ان احلام اليقظة هذه هي التي تشدد من عزائمهن في الايام الكئيبة التي تمر عليهن في البيت العمومي ، وهي املهن الوحيد . اما بالنسبة للواتي يتمتعن بالقدرة على الكسب ، او اللواتي طرحن جانباً حلمهن بالعثور على زوج ، فان موضوع العودة الى عائلاتهن او اعالة اطفالهن يشغل حيزاً كبيراً من تفكيرهن في المستقبل.

وثمة ، أخيراً ، قلة ليس لديها الكثير مما تصبو اليه . فان الخدمة في البيوت ، او الاشتغال بالتمريض ، او الانخراط في سلك الرهبنة ، او التطلع الى اعتزال المهنة بشكل مبكر ، تشكل جزءاً من مشاريعهن للمستقبل .